الثناء على الجليل ديانة ومدح العظيم قربة وتقديس المهيمن شرف

الله إله واحد ليس له شريك، لأن من لوازم الربوبية التفرد، ومن خصائص الأولوهية التوحيد، فلا ينبغي له مشارك في الحكم كما لم يكن له مشارك في الخلق تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والله ليس له شبيه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ لأنه متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته، لا يشبه شيئاً من خلقه؛ لأنه كامل مُبَرؤ عن كل نقص، منزه عن كل عيب، سليم عن كل شين، ولا يشبهه أحد من خلقه، لأن الخلق لا يسلم من خطأ، ولا ينجو من زلل؛ ولأن المخلوق ضعيف فقير ينسى وينام ويموت.

والله قوي غني لا ينسى، ولا تأخذه سنة ولا نوم، وهو حي قيوم لا يموت. والله ليس له ولد، فليس في حاجة إلى الأولاد، فهو تام القدرة، نافذ الحكم، قوي الإرادة، كامل الغني، غير محتاج لأحد من الناس كائناً من كان، بل لا تنفعه طاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي، جل في علاه ولا إله إلا الله.

والله ليست له صاحبة، لأن من يحتاج إلى التوالد والإنجاب ناقص، والله كامل منزه عن هذا مُبَرؤ عما يخص المخلوق، أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولم يكن له صاحبة ولا ولد؛ ولأن من يحتاج إلى زوجة قاصر ناقص والله غير محتاج؛ بل هو ذو الغنى المطلق والقوة المتناهية، والعظمة الكاملة فلا نهاية لمجده، ولا منتهى لحمده، تقدست أسماؤه وتعاظمت صفاته.

والله لا ينام لأن من ينام فقير إلى الراحة، متعب من الشغل مجهد من العمل، وهو سبحانه لا يدركه نصب ولا يناله تعب، ولا يحتاج إلى نوم، ولا

يفتقر إلى راحة لأنه خالق القوة للأقوياء، وموجد الغنى للأغنياء، وواهب العظمة للعظماء، إذن فهو أقوى قوي، وأغنى غني، وأعظم عظيم، وهو سبحانه الملك الحاكم ولو نام الملك لضاعت الرعية، وانفرط حبل الملكوت، وخرب العالم وتدمر الكون، والله لا يموت، لأن من يموت ناقص الحياة، مبتور العمر، منتهي الوجود، معدم البقاء، وهو سبحانه الحي الذي من حياته استمد كل حي حياته، القيوم الذي قامت بقيوميته الكائنات، الباقي بعد موت خلقه فلا يزول، والدائم بعد وفاة الأحياء فلا يفنى، الموجود بعد نهاية العالم فلا ينتهي، الوارث لكل شيء فلا يموت ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ والله لا راد لحكمه لأن من يرد حكمه عاجز، ومن يرفض أمره قاصر، ومن لا يقع مطلبه مغلوب، وهو سبحانه فارض الحكم؛ لأنه تام القدرة، نافذ الأمر لأنه غالب على كل شيء، فعال لما يريد، لأنه لا راد لمشيئته ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾.

والله فعال لما يريد؛ لأن من فعل شيئاً لم يرده واهم أو ناسٍ، ومن أراد شيئاً ولم يفعله قاصر عاجز، ومن لم يرد شيئاً ولم يفعله ميت غائب، وهو سبحانه لا واهم، ولا ناس، ولا قاصر، ولا عاجز، ولا ميت، ولا غائب، فهو لا يريد شيئاً إلا فعله لكمال القدرة، وعدم المانع، ولا يفعل شيئاً إلا أراده لتمام العلم وسعة الاطلاع، وكمال الإحاطه ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾.

الله تعالى تصمد إليه جميع المخلوقات في جلب النفع ودفع الضر

الله صمد تصمد له الحيتان في الماء، والدودة في الطين، والحية في الجحر، والنملة في السرب، والنحلة في الخلية، الكل يرجو عطاءه ويطمع في فضله، ويأمل مدده، ويسأله بره وخيره؛ لأنه تكفل برزق الجميع، واطلع على شؤون الجميع ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾.

والله صمد تقصده الملوك إذا اضطربت الأمور، ووقع المحذور، وضاقت بالحوادث الصدور، وتخضع له الجبابرة إذا زلزلت منهم الأركان، وتزاحم عليهم الحدثان، وعظم على قلوبهم الشأن، لأن نواصيهم بيده، ومقاليد أمرهم في قبضته، والكل متقلب بين نعمته ونقمته، ولأنه صمد سبحانه ارتفعت إليه أكف الداعين تطلبه الغيث إذا تأخر نزوله، وتسأله الرزق إذا أبطأ حلوله، وترجوه رفع الضر إذا خيم بظلاله، وتتملقه في كشف البلاء إذا ثقلت وطأته، وعظمت حدته، وتناشده الألسن نصره إذا حمى الوطيس، وتستعيذ من غضبه إذا خيف أخذه، وترجو رحمته إذا ظهرت بشائر جوده، وتستعينه على إدراك المطالب، وحصول الرغائب، واندفاع النقم، وتتابع النعم، وتأمل منه الهدى عند الاختلاف، والرشد عند الاضطراب، والخيرة عند الاشتباه ﴿**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ ولأنه صمد سبحانه تاقت إلى فضله أرواح العارفين، وطمعت فيما عنده نفوس العابدين، وأحسنت الظن به قلوب الصادقين «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»، يصمد له الحاكم على كرسيي حكمه ليبقى له السلطان، ويستمر

له الجاه وعلو الشأن، ويندفع عنه شر الإنس والجان، فيمنحه العز ويؤيده بالنصر ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾.

ويصمد له العالم عند ورد المسائل، وازدحام الأدلة، وتوارد الخواطر وكثرة الوقائع، ومرور الحيرة واختلاف البراهين، فيكشف له الحقائق، وينير له البصيرة، ويهديه الجادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾.

ويصمد له التاجر عند بوار السلعة، وخسارة الصنعة، والطمع في الربح، والخوف من الإفلاس، فيعوضه عند التلف، ويقيل عثرته بأحسن الخلف، ويفتح عليه باباً من حيث لا يحتسب ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

ويصمد له ملاح السفينة عند تلاطم الأمواج، وغضب البحر، وطغيان الماء، وخوف الغرق، ودنو الهلاك، فينقذ المركب من الدمار، ويمسك السفينة أمام التيار، وينجي ركابها من البوار: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

ويصمد له سبحانه المريض على فراشه إذا بارت الحيلة، وما أجدت العقاقير، وما نفعت الأدوية، وما صح العلاج، وما عرف الطبيب الحالة، فيشافيه سبحانه، ويعافيه، ويلبسه لباس الصحة، ويذهب عنه سقمه، ويطرد عنه ضره ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

وتصمد له سبحانه المرأة عند الولادة إذا أصابها الطلق، وتعسر المخاض، وصعب الأمر، وضاقت الأنفس، واضطربت الأطراف، فيكشف ما بها ويزيل كربها، ويذهب همها، وغمها، وييسر أمرها: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

ويصمد له سبحانه اليتيم إذا مات أبواه، وقل ناصره، وعظمت حسرته، واشتدت كربته، ولم يجد من يؤويه ويطعمه، ويسقيه؛ فيتولى أمره الرحمن الرحيم؛ بالفضل العميم، والعطاء الجسيم، فيحوطه بالرعاية ويحفظه بحسن الولاية.

ويصمد له سبحانه الفقير إذا أوصدت أمامه الأبواب، وأسدل دون حاجته الحجاب، وألصق بطنه بالتراب، فيهيء سبحانه فرجه في لمح البصر، ويكتب غناه بقلم القدر، ويغنيه عن كل البشر: ﴿ **والله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾.

ويصمد له سبحانه المديون إذا أثقله الدين، وأهمه الغرم، وأحزنته التبعة، وصعب عليه الحمل، فيقضي دينه، ويرضي غريمه، ويكشف عنه ما أهمه: ﴿ **سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾.

ويصمد له سبحانه السجين إذا أغلق عليه الباب، ووضع دونه الحجاب، وحيل بينه وبين الأهل والأصحاب، وضاقت به الحيل، وانقطعت به السبل فيطلق سراحه، ويفك أسره، ويعجل بفرجه، ويزيل كربه ﴿ **أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ** ﴾.

ويصمد له سبحانه المجاهد في سبيله، والمقاتل لإعلاء دينه؛ إذا تطايرت الرؤوس وحشرجت في الصدور النفوس، وامتشقت الرماح، وارتفع الصياح، وتقاربت الصفوف، ولمعت السيوف، وضاق المعترك، والموت في ساحة الوغى برك، فينزل الله السكينة على القلوب، والنصر على المقاتلين، فينصر عبده ويعز جنده ويهزم الأحزاب وحده: ﴿ **وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ** ﴾.

ويصمد له سبحانه الأعرابي في الصحراء يوم يصيبه القحط، ويحاصره الجدب؛ فيموت العشب، ويجف الغدير، ويبس الروض، ويذرى النبت،

وتشرف البهائم على الهلاك؛ فينزل الكريمُ المنانُ الغيثَ، ويفتح أبواب رحمته، ويرحم عباده، ويلطف ببهائمه؛ فإذا الماء، والخضرة، والنماء، وإذا السيل يملؤ النواحي، ويجتاح البؤس، والمحل، ويقدم بالخير والبشرى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾.

ويصمد له سبحانه المذنب وهو يريد أن يتوب عليه بعد أن توبقه خطيئته، وكاد أن تحيط به زلته، وتقصم ظهره معصيته، فينطرح على أبواب الملك الحق، ويتمرغ على عتبات التواب الرحيم، ويشكو ذنبه على اللطيف الخبير، فيقبل الله توبته ويغفر زلته، ويقيل عثرته، ويمحو سيئته، ويبدل سيئاته حسنات، ومعاصيه طاعات، ويتحفه بأنواع الكرامات، بل يفرح سبحانه بتوبة عبده أشد من فرح من ضاعت منه ناقته في الصحراء عليها طعامه وشرابه فوجدها بعد يأس ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾.

﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾.

﴿ **مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾.

ويصمد له سبحانه المفتي والحاكم والقاضي إذا وردت المشكلات، وأقبلت المعضلات، وازدحمت المسائل العويصات؛ فيلجؤون إلى علام الغيوب، والمطلع على الخوافي، والمحيط بما في السرائر والضمائر؛ فيفتح سبحانه بالمعرفة ويتفضل بالفهم، ويجود بالتسديد ويمن بالإصابة؛ فيفتح بعونه المغلق، ويسهل

الصعب، ويقرب البعيد، ويوضح المشكل، ويبين المجمل، وييسر العسير، وهو اللطيف الخبير ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾.

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.

والله سبحانه وتعالى يصمد له الطبيب في عيادته إذا بارت عقاقيره، وضلت حكمته، وأعوزته بصيرته، وتاهت معرفته، وتضاعف مرض المريض، وسقم السقيم، وزادت علة العليل، عندها يأتي لطفه سبحانه فيكتب الشفاء على يد الطبيب، فضلاً منه ورحمة، ويجري العافية بسبب الدواء منَّة ولطفاً ويزيل السقم ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ ﴾.

فصل

والله سبحانه له الحجة البالغة على عباده، فلم يأخذ حتى أنذر، ولم ينتقم حتى أعذر، وأرسل الرسل لئلا يعتذر معتذر بعدم البلاغ وأنزل الكتب لئلا يدعي مدع عدم البيان، فحجة الله على الخليقة بالغة لأنها صادقة القدم، عادلة الحكم، يقينية الدلالة، قاطعة للشبهة، فالجة للخصم، قاضية في محل النزاع، نافذة إلى عمق الحقيقة ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ والله له الحجة البالغة؛ لأنه لم يكلف ما لا يستطاع، ولم يخاطب ما لا عقل له، ولم يأمر غير مميز، ولم يعذب إلا من جاءته من الله البينة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

وحجة الله بالغة الأثر، بليغة الأسلوب، مؤثرة في السامع، بينة صادعة المعنى، ظاهرة المقصود ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ وحجة الله في كتابه، وعلى لسان رسوله لها على القلوب سلطان، ولها في النفوس هيبة؛ لأنها تقرر للعقل ثوابت الإيمان، وتبصر للعبد براهين الشريعة، وتعلم الناس أدلة اليقين ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

obeikandl.com

تقوى الله أجل ما يعظم به الله وأحسن ما يقدس به الملك الحق تقدست أسماؤه

الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة، فهو أحق من اتقي، وأولى من قدر، وأجل من عظم، وأكبر من يُستَحى منه، وأشرف من يراقب، وأكرم من يراعى أمره جل في علاه.

هو أهل التقوى؛ لأنه بالمرصاد، مطلع على العباد، يحاسبهم بأفعالهم يوم التناد، فتقواه مهابة واجبة، وتعظيم مفروض، وتوقير محتم، وتقدير لازم ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

هو أهل التقوى، حق على العباد تقواه سبحانه لأن مسدي الجميل، ومعطي الجزيل، وواهب النعم، والمتفضل بالعطايا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾.

هو أهل أن يتقى؛ لأنه شديد العقاب، سريع الحساب عظيم النكال، قوي المحال، أخذه لا يطاق، وانتقامه لا يستطاع، وبطشه لا يقاوم، وجبروته لا يصادم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه ـ وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معاصيه، وخوف مقامه، والرهبة من أخذه، والحذر من مقته، وتذكر الوقوف بين يديه والوجل من اطلاعه، والحياء منه، والوفاء بعهده.

وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله ـ عز وجل ـ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾. فهو أهل أن يخشى ويهاب، ويجل ويعظم في صدور عباده، حتى يعبدوه ويطيعوه؛ لما يستحقه من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة، وقوة البطش وشدة البأس.

وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار، أو إلى زمانه كيوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾.

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

قال معاذ بن جبل: ينادى يوم القيامة: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن، لا يحتجب منهم ولا يستتر. قالوا له: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة، فجزاؤهم عند ربهم النزل الكريم وسكنى جنات النعيم، مع الفوز العظيم، والحظوة بالنظر إلى وجه الرحمن الرحيم.

وقال ابن عباس: المتقون: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفونه من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

وقال الحسن: المتقون: اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض الله عليهم.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير.

وقال طلق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله؛ ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله؛ تخاف عقاب الله.

وعن أبي الدرداء قال: تمام التقوى أن يتقى الله العبدُ، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام؛ فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه.

وقال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

وقال الثوري: إنما سموا متقين؛ لأنهم اتقوا ما لا يتقى.

وقال موسى بن أعين: المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام؛ فسماهم الله المتقين.

وحديث: «**فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**».

وقال ميمون بن مهران: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾.

قال: «**أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر**». وخرجه الحاكم مرفوعاً، والموقوف أصح .

وشكره يدخل في جميع فعل الطاعات.

ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته، وكلماته فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات؛ كما قال أبو هريرة، عندما سئل عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خل الذنوب صغيرها

وكبيرها فهو التقى

واصنع كماش فوق أر

ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى

وأصل التقوى: أن يعلم العبد ما يُتَّقى ثم يتقي.

قال عون بن عبدالله: تمام التقوى أن تبتغي علم ما لم تعلم منها إلى ما علمت منها.

وفي الجملة: فالتقوى: هي وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسول اللهﷺ لأمته.

وكانﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً .

ولما خطب رسول اللهﷺ في حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله، وبالسمع والطاعة لأئمتهم .

ولما وعظ الناس قالوا له: كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة**».

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها.

ولما حضرت الوفاة أبا بكر، وعهد إلى عمر دعاه، فوصاه بوصية، وأول ما قاله له: اتق الله يا عمر.

وكتب عمر إلى ابنه عبدالله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله - عز وجل -؛ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك.

واستعمل علي بن أبي طالب رجلاً على سرية، فقال له: أوصيك بتقوى الله - عز وجل - الذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل: أوصيك بتقوى الله ـ عز وجل ـ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين.

ولما ولي خطب فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله - عز وجل - خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف.

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله والإحسان، فإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون.

وقال له رجل يريد الحج: أوصني، فقال له: اتق الله؛ فمن اتقى الله فلا وحشة عليه.

وقيل لرجل من التابعين عندموته: أوصنا، فقال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

وكتب رجل من السلف إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله؛ فإنها أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها.

وكتب رجل منهم إلى أخ له: أوصيك وأنفسنا بالتقوى؛ فإنها خير زاد الآخرة والأولى، واجعلها إلى كل خير سبيلك، ومن كل شر مهربك؛ فقد تكفل الله ـ عز وجل ـ لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون.

وقد ثبت عن النبيﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

وكان النبيﷺ يقول في دعائه: «**أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**» .

وخشية الله في الغيب والشهادة من المنجيات.

وهذا هو السبب الموجب لخشية الله في السر؛ فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه مطلع على باطنه وظاهره، وسره وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر؛ وإلى هذا المعنى الإشارة في القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾.

كان بعض السلف يقول لأصحابه: زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة، فعلم أن الله يراه، فتركه من خشيته؛ أو كما قال.

وقال الشافعي: أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يُخاف.

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعله في بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك، وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه،

ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره؛ فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك، والسلام.

وقال أبو الجلد: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: قل لقومك: ما بالكم تسترون الذنوب عن خلقي وتظهرونها لي؟ إن كنتم ترون أني لا أراكم فأنتم مشركون بي، وإن كنتم ترون أني أراكم فلم تجعلوني أهون الناظرين إليكم؟!

وكان وهيب بن الورد يقول: خَفِ الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك.

وقال له رجل: عظني، فقال له: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

وكان بعض السلف يقول: أتراك ترحم من لم تقر عينه بمعصيتك، حتى علم أن لا عين تراه غيرك؟

وقال بعضهم: ابن آدم، إن كنت حيث ركبت المعصية لم تصف لك من عين ناظرة إليك؛ فلما خلوت بالله وحده صفت لك معصيته، ولم تستح منه حياءك من بعض خلقه ـ ما أنت إلا أحد رجلين: إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت علمت أنه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من أضعف خلقه، فقد اجترأت؟!

دخل بعضهم غيضة ذات شجرة، فقال: لو خلوت ههنا بمعصية من كان يراني؟ فسمع هاتفاً بصوت ملأ الغيضة: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

راود بعضهم أعرابية وقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟!!.

رأى محمد بن المنكدر رجلاً واقفاً مع امرأة يكلمها، فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما.

وقال الحارث المحاسبي: المراقبة: علم القلب بقرب الرب.

وسئل الجنيد: بما يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره.

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل: على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب

والمقصود أن النبي لما وصى معاذاً بتقوى الله سراً وعلانية أرشده إلى ما يعينه على ذلك، وهو أن يستحي من الله؛ كما يستحي من رجل ذي هيبة من قومه.

ومعنى ذلك: أن يستشعر دائماً بقلبه قرب الله منه، واطلاعه عليه؛ فيستحي من نظره إليه.

وقد امتثل معاذ ما وصاه به النبي ﷺ.

وكان عمر قد بعثه على عمل، فقدم وليس معه شيء، فعاتبته امرأته فقال: كان معي ضاغط. يعني: من يضيق عليه، ويمنعني من أخذ شيء.

وإنما أراد معاذ ربه ـ عز وجل ـ فظنت امرأته أن عمر بعث معه رقيباً؛ فقامت تشكوه إلى الناس.

ومن صار له هذا المقام حالاً دائماً أو غالباً، فهو من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، ومن المحسنين الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم.

وفي الجملة: فتقوى الله في السر علامة كمال الإيمان، وتأثيرها عظيم في إلقاء الله لصاحبها الثناء في قلوب المؤمنين.

روي هذا مرفوعاً، وروي عن ابن مسعود من قوله.

وقال أبو الدرداء: ليتق أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر؛ يخلو بمعاصي الله؛ فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين.

وقال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر؛ فيصبح وعليه مذلته.

وقال غيره: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله، ثم يجيء إلى إخوانه؛ فيرون أثر ذلك عليه.

وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحق المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار.

فالسعيد من أصلح بينه وبين الله؛ فإن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله ـ عاد حامده من الناس ذاماً له.

قال أبو سليمان: الخاسر من أبدى للناس صالح عمله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

ومن أعجب ما روي في هذا ما روي عن أبي جعفر السائح قال: كان حبيب أبو محمد تاجراً يكري الدراهم، فمر ذات يوم، فإذا هو بصبيان يلعبون، فقال بعضهم لبعض: قد جاء آكل الربا، فنكس رأسه، وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان، فرجع فجمع ماله كله، وقال: يا رب إني أسير، وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال، فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله، وأخذ في العبادة ثم مر ذات يوم بأولئك الصبيان، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: اسكتوا؛ فقد جاء حبيب العابد، فبكى، وقال: يا رب ، أنت تذم مرة، وتحمد مرة، وكله من عندك.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين،

والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com